"كينزي، جنس واحتيال"

■ أ. لينا السقر

باحثة ومترجمة من سورية

ملخّص

ضمن هـذا القراءة القصيرة، نسـلط الضوء على ضرورة مواجهة الحركات الشـاذة والكشـف عن أصولهـا المزيفـة، وتوضيح مخاطرهـا على المجتمعـات عموماً، والمجتمعـات العربية والإسـلامية خصوصاً، وكيف تهدد النُّظُـم التي تُحدِّد علاقة الفـرد بالأسرة، والأسرة بالمجتمع، والتي تُحقِّق للأُمة كيانها واسـتقلاليتها وتُحافظ على مميزاتها.

توضـح القـراءة أن كل مـا يخرج عن الفطـرة الإلهية يسـبب الـضرر ويعيق تقدم الشـعوب؛ لذلك يتوجب مناهضة كل الحركات الداعية للشـذوذ والتي تخرج عن المنطـق وتعليمات الدين، وتدهـور المجتمعات، والأهم معرفة الضرر الجسـدي والنفسي لهذه الدعوات المشوهة وَالمنحرفة.

الكتـاب من أهم الخطوات البارزة التي جابهت وكشـفت أكاذيـب ألفريد كينزي، خصوصاً أنه مبني على تجربة جوديث ريسـمان الحقيقية، عالمة، ناشـطة أمريكية، وخبـيرة إعلاميـة بالتأثيرات السـامة للمواد الإباحيـة، التي كان سـببها مواد كينزي وأدواتـه، وكانت ضحيتها ابنتها الوحيدة. يكشـف أيضاً كيـف دعمه الغرب بهدف السيطرة على عقول فئة مهمة جداً، فئة الشباب الأساسية لبناء المجتمعات.

الكلمات المفتاحية:

الثورة الجنسية، المواد الإباحية، علم الجنس الأكاديمي، الشذوذ الجنسي، التربية الجنسية.

بطاقة الكتاب

تعريب عنوان الكتاب: "كينزي، الجنس والاحتيال".

عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية: Kinzey, Sex And Fraud

مؤلفو الكتاب: د. جوديث ريسمان - المعالج النفسي بمجال الطب الجنسي الأسري إدوارد إيشل.

محرِّرو الكتاب: د. جوردون موير - د. جون إتش كورت.

دار النشر: هنتنغون للنشر.

سنة النشر: عام 1990.

عدد الصفحات: 260.

اللغة الأصلية للكتاب: اللغة الإنكليزية.

ليس للكتاب نسخة معرَّبة.

مقدمة

"الثورة الجنسية "، عنوانٌ مثير للجدل، ظهر في المجتمعات الغربية في سبعينيات القرن الماضي. وأحدث ضجةً جراء الأفكار التي طرحها، والتي غيَّرت المفهوم العام التقليدي والطبيعي والفطري للجنس. حاولت مفاهيم هذه الثورة التأثير على الجيل الجديد الناشئ. بالإضافة إلى ذلك، سعت إلى فصل ممارسة الجنس عن أخلاق المجتمع وضوابطه عاداته.

ومن أبرز صُنَّاع هذه "الثورة"، والذي أطلق عليه أب "الثورة الجنسية " كان ألفريد سي كينزي، الشخص الشاذ جنسياً. هو عالم أحياء أمريكي، أستاذ بعلم الحشرات والحيوان. تحوَّل لتقديم أبحاث جنسية، لكن ذات محتوى مختلف. مُحتوى يبيح العلاقات الجنسية بأشكالها وطرقها كافة، ويعدُّ العلاقة الجنسية الطبيعية أمر غير عادي، و العلاقة الجنسية غير الطبيعية هي أمر عادي. دعم ثورته المزعومة هذه بأبحاث وبيانات، دعمتها كذلك أوساط أكاديمية- وأصبحت

تقاريره ذات مكانة أسـطورية وأسـاس خطير جداً بنيت عليها أبحاث جنسية فيما بعد. والواقع الأخطر أنَّ الكتب المدرسـية المخصصـة لتعليم أجيال صغيرة اقتبسـت نتائج كينزي وعدَّتها حقيقة لا جدال فيها.

لكن، بحقيقة الأمر، كان كينزي شـخصاً أقلُّ ما يقال عنه أنه شـاذ ومخادع. تبيّن فيما بعد أن تقاريره مُزيفة وكاذبة، وأبحاثه أجريت على سـجناء، ومرتكبي جرائم، وشاذين جنسياً، مثليين، ومن مشـتهي الأطفال. فضلاً عن ذلك، توضّح أن مـن مثلَ بأفلامه هم من موظفيه وعائلاتهم ومعارفهم. كل ذلك كُشِـف بعد وفاته، في منزله، في عليّة اسـتُخدمت لأبشع عمليات الشذوذ الجنسي، وأصعب مشاهد استغلال الأطفال والجيل الشاب.

ولأنَّ هنـاك الكثير مـن القوى في المجتمع الغربي من صالحهـا تصديق كذب كينزي ودعم أبحاثـه، كان لا بُـدَّ من بـروز قوة مُناهضـة لكينزي وفلسـفته تعمل على نحوٍ هـادف لرفض الاستنتاجات المستخلصة من بياناته وطرح فرضية جديدة. ولا بد لها من شرحٍ وإيضاح الطرق السـليمة فيما يتعلق بالحياة الجنسـية، حتَّى يقلَّ عددُ جرائم الاعتداءات الجنسـية، و حالات مرضى الإيدز وغيرها من الحالات الاجتماعية المضطربة.

اخترنا هذا الكتاب لأنَّهُ من أهمِّ خطوات مواجهة أفكار كينزي، ودحض فرضياته وأبحاثه.

■ عرض الكتاب

مـن أبرز ضحايا كينزي، طفلـة في العاشرة من عمرها، تعرَّضت للاغتصاب على يد صبي في الثالثـة عـشرة من عمره. قال الصبي إنَّ الفكرةَ راودته بعدما شـاهد مجموعةَ والده المنتقاة من أعمال كينزي ومعاهده المتخصصة بالشـذوذ الجنسي. لم تسـتطع والدة هذه الطفلة أن تبقى صامتة. قرَّرت كشـف طبيعة كينزي وزيف أبحاثه وبياناته وتقاريره. والدتها هي مؤلفة الكتاب د. جوديث ريسمان، عالمة، ناشطة أمريكية، وخبيرة إعلامية بالتأثيرات السامة للمواد الإباحية. من أهم ما قامت به لهزم هذا الشيطان هو الكتاب الذي بين أيدينا.

ويظهر هـذا الكتاب التحيُّـز المتأصل والأسـاليب الاحتيالية لكينزي وفريقـه من الباحثين. ويثبت أيضاً عدم دقة بيانات كينزي بشكل لا يقبل الجدل.

★ جـاء في مقدمة الكتاب، وعنوانها: "البحث الجنـسي لألفريد كينزي – بعد 40 عاماً، حان

وقت المساءلة"، إنَّهُ منذ أكثر من 40 عاماً، قدَّم كينزي للشعب الأمريكي مع فريق من الباحثين "بيانات إحصائية" توضِّح أنَّ العلاقات الجنسية الخارجة عن المألوف أكثر ليبرالية وتتناغم مع أفكاره ومعتقداته الخاصة. دعا كينزي إلى أنَّ جميعَ السلوكيات الجنسية التي تعدُّ منحرفة هي سلوكيات طبيعية، في حين أن العلاقة الجنسية بين الجنسين غير طبيعية ونتاج الموانع الثقافية والتكيف المجتمعي.

قليل من الناس أدركوا أن البيانات لم تكن علمية. لم تكن البيانات ممثلة للمعايير المجتمعية. والآن أصبح من الواضح أن نتائجه، فضلاً عن كونها متحيزة إلى حدٍّ كبير، ربما كانت مُزوَّرة. ولهذه الأسباب، ولأن الأساس لبعض استنتاجات كينزي الرئيسة هي الأبحاث التي أُجريت على أشخاص على نحوٍ غير قانوني وضد إرادتهم، وأصبحَ من الضروري بمكان دعوة المجتمع العلمي إلى إعادة النظر في جهود كينزي البحثية في مجال الجنس.

جاء أيضاً في المقدمة أنَّ أهمَّ ما وصل إليه كينزي:

- 85 % من الذكور في الولايات المتحدة يمارسون الجنس قبل الزواج.
- ما يقرب من 70% يمارسون الجنس مع فتيات ليل.
- ما بين 30 % إلى 45 % من الأزواج يمارسون الجنس خارج نطاق زواجهم.
- 37 % من الذكور لديهم تجارب مثلية بين فترة المراهقة والشيخوخة.

رفض كينزي في سنوات تكوين شخصيته مبادئ وتعاليم اليهودية المسيحية، وطوَّرَ بوضوح وجهة نظره حول الحياة الجنسية البشرية، حيث عدَّ السلوك الجنسي الحيواني نموذجاً للسلوك الجنسي البشري.

أمَّا في بحث كينزي الجنسي، فقد قام بأبحاث تجريبية على عدة مئات من الأطفال، الذين تتراوح أعمارهم بين شهرين إلى 15 عام تقريباً. حفَّزَ هؤلاء الأطفال (شفوياً ويدوياً) للوصول إلى النشوة الجنسية من قبل مجموعة من تسعة مرتكبي الجرائم الجنسية، بعضهم "دُرِّبَ تقنياً" (إذا لم يكونوا مرتكبي جرائم جنسية مع الأطفال من قبل، فقد صاروا مجرمين بعد التجارب). تُشكِّلُ اختبارات النشوة الجنسية هذه على الأطفال قاعدة بيانات أبحاث كينزي التجريبية حول جنس الأطفال!

تكون الحجة المؤيدة للتحقيق أكثر قوة عندما تكون البيانات مُستمدة من إساءة معاملة البشر،

وهــم في هــذه الحالة أطفال. هل يمكن للقارئ أن يتخيل مــا يمكن أن يعنيه مثل هذا التحقيق بالنسبة إلى المجتمع وفهمه للحياة والقيم الجنسية البشرية؟

لننتقل الآن إلى فصول الكتاب، وهي ثمانية فصول، سنتناولها باختصار مفيد.

■ الفصل الأوَّل: الميول الجنسي لدى الأطفال الذكور

يتناولُ هذا الفصل بشــكل أســاسي إحصائيــات كينزي عن الحياة الجنســية للأطفال، والتي قدَّمهــا إلى العــالم لأول مــرة في تقريــره عن الذكور عام 1948، و يشــتمل تقريــر كينزي على المجموعة الأولى والوحيدة من البيانات التجريبية التي حصل عليها، والتي هدفت إلى إثبات أنَّ الرُّضعَ والأطفال - في مرحلة ما قبل المراهقة عموماً - يمكنهم الاســتمتاع بالنشاط الجنسي والاســتفادة منه، خاصة مع البالغين. هذه هي الأدلــة التي تعتمد عليها قطاعات من عالم علم الجنس الأكاديمي، وكذلك حركة الاســتغلال الجنسي للأطفــال لزعمهم بأنَّ الأطفالَ كائنات جنســية. أصبح هــذا، والعديد من مفاهيم كينــزي الأخرى، جزءاً لا يتجزأ مــن مناهج التربية الجنسية الحديثة.

لم يكشف كينزي سوى القليل عن الماهية الدقيقة لعينة الذكور الذين أجريت معهم مقابلات، والتــي كان ينبغــي أن تمثل ســكان الولايات المتحــدة ، و أصبح من الواضــح الآن أن العينة تحتوي على أعداد غير مناســبة من مرتكبي الجرائم الجنســية، ومشتهي الأطفال، والمتباهين، وكان جزء كبير منها (ربما 25٪) يتألف من نزلاء السجن. حتى أولئك الأشخاص الذين تطوعوا لإجراء بحث كينزي، و تبيَّنَ أنهم كانوا متحيزين تجاه ما هو غير تقليدي جنســياً. عرف كينزي هذه الحقيقة، لكنه أخفى الأدلة.

مع ذلك، ومن خلال بحثه حول هذه العينة المنحرفة، حدَّدَ كينزي الحياة الجنســية الذكورية "الطبيعية" - وتمَّ قبول تعريفه إلى حدٍّ كبير على اعتباره أمر صحيح.

كان المشــاركون بمقابلات كينزي مُتحيِّزين عمداً إلى فكرة العلاقات الجنســيِّة الشاذة. وفي تفاصيــل الكتاب يظهر تحيُّز كينزي الشــخصي تجاه هكذا ممارســات. والأمــران مهمان جداً لأنهما يبينان أنَّ النتائجَ التي توصَّل إليها كينزي أُسِّست إلى حدٍّ ما معايير اجتماعية على أساس ما هو السلوك المقبول. إنَّ التغطية الإعلامية الواسعة والقبول غير النقدي الذي ميَّزَ إطلاقَ كتب

كينزي ربما كان بمثابة بداية الموجة الأولى من "الثورة الجنسية". ووفقاً لبعض علماء الجنس فقد أصبحَ كينزي هو العملاق الذي وقف على أكتافه جميع الباحثين في مجال الجنس في عصره، وكانت فلسفته هي أن تحديد الصواب والخطأ، والمشروع وغير المشروع، والمقبول وغير المقبول في السلوك الجنسي البشري عبارة عن أمور مفروضة ثقافياً، وكلها اختلافات مصطنعة. بالإضافة إلى أنه أوضحَ أن جميع الأنشطة الجنسية - بما في ذلك العلاقات الجنسية للبالغين مع الأطفال - كانت "طبيعية"، وبالتالي عدَّها أمراً عادياً. وادَّعى أن بعض الأنشطة الجنسية تعرَّضت للوصم على نحوٍ غير عادل بسبب "القيود المجتمعية" و"المحظورات".

إن مفهوم كينزي للجنس، على اعتباره استمرارية طبيعية من الولادة حتى الموت، واستمرارية تشمل المغايرة الجنسية، وازدواجية التوجه الجنسي، والمثلية الجنسية (الذي يعدُّ مفهوماً مُتجسداً في "مقياس كينزي")، قبله الآن علماء الجنس الأكاديميين على نحوٍ عالمي.

هذا المفهوم يُدرَّسُ على نطاق واسع في دورات التربية الجنسية في المدارس الأبرشية والخاصة والعامة، ويستخدم في البرامج الشائعة، مثل "أن تكون مثلياً" (On Being Gay) و"حياتك الجنسية" (About Your Sexuality).

مع ذلك، بحث كينزي، الذي يرتكز عليه كل هذا، يفتقر إلى الصحة العلمية، والمنهجية المزعومة للتجارب الجنسية للأطفال التي يصفها كينزي غير دقيقة - فبعض ما يُزعم أنه "تاريخ"، بوضوح ما هو إلاَّ بحث محتمل أو عمل مُجرمي الجنس . للأسف، استغرق ظهور الحقائق 40 عاماً. والأمر الأكثر حزناً هو احتمال أن يكون كينزي وفريقه متورطين بشكل مباشر في أعمال مشكوك في شرعيتها خلال إنجاز البحث.

■ الفصل الثاني: الميول الجنسية لدى الطفلات

يتناول هذا الفصل بعض النتائج المتعلقة بالميول الجنسية الأنثوية التي قدَّمها فريق كينزي في تقريرهم المتعلق بالنساء عام 1953. قُدِّمت هذه البيانات المستمدة من المقابلات التي أجريت مع أكثر من 5900 امرأة إلى الجمهور بعد خمس سنوات من بيانات كينزي حول الميول الجنسي للذكور.

قام كينزي وزملاؤه بإجراء البحث على عينة غير عشوائية من النساء، واللواتي لم يمثلن المرأة

الأمريكية على الإطلاق، لكن عنوان بحثهم المنشور: السلوك الجنسي في الأنثى البشرية، أعطى انطباعاً واضحاً بأن النتائج التي توصَّلوا إليها بشأن الميول الجنسي الأنثوي تنطبق على النساء الأمريكيات. هكذا قُدّمَت المعلومة، وهكذا كان ينظر إليها الإعلام، وبالتالي المجتمع.

ولعلَّ أفضلَ ما نتذكره هو استنتاج كينزي (غير المدعوم ببياناته الخاصة) بأن الجماع قبل الزواج يساعد النساء على التكيف الزوجي لاحقاً.

مع ذلك، أخطرُ وأهمُّ النتائج التي توصَّل إليها كينزي، والتي تمَّ التغاضي عنها أو تجاهلها بالكامل تقريباً في ذلك الوقت، تتعلق بالنشاط الجنسي للطفلة. توصَّلَ كينزي إلى الاستنتاجات الآتية حول هذا الموضوع - الاستنتاجات التي وعلى الرغم من أنَّها مُروعة، يشاركها بهدوء كبار علماء الجنس اليوم:

1. من غير المُرجَّح أن تؤدِّي الاتصالات الجنسية بين البالغين والطفلات "إلى إلحاق أيِّ ضررٍ ملموس بالطفلة، إذا لم يزعج هذا والدا الطفلة".

2. من غير المرجح أن يُسبِّبَ الاتصالَ الجنسي بين الذكور البالغين والطفلات ضرراً جسدياً. كانت هناك "حالات قليلة من النزيف المهبلي [الناتجة عن مثل هذه الاتصالات] والتي، مع ذلك، لا يبدو أنها تُسبِّبُ أيَّ ضرر ملموس". هناك حاجة إلى أن يتعلم الجمهور كيفية التعرَّف إلى الحالات التي تكون فيها الاتصالات الجنسية الجسدية بين الذكور البالغين والطفلات غير ضارة.

3. عند حدوث نشاط جنسي بين طفلة وشخص بالغ ويحدث ضررٌ، فهذا نتيجة لاستجابة غير مناسبة من مجتمع مكبوت جنسياً.

هناك لغزٌ آخر مثيرٌ للاهتمام في أبحاث كينزي، وهو الملاحظة المزعومة للنشوة الجنسية لدى سبع طفلات ،أعمارهن دون 4 سنوات. ولم تكشَف أيَّة معلومات عن هوية الطفلات على الإطلاق.

■ الفصل الثالث: من الاحتشام إلى "الحرية"

مراجعة مختصرة للثورة الجنسية

كان لألفريد كينزي وفريقه تأثيرٌ كبيرٌ على الأعراف الاجتماعية، وذلك من أساس علمي

مزيف. اتسمت "الثورة الجنسية"، التي تلت إصدار كينزي لكتبه وأبحاثه، بالمبادئ الأساسية لفلسفة كينزي: ولا سيما فكرة أن كل أنواع الجنس جيدة، بما في ذلك "الممارسات المحظورة"، وأنه من الجيد أن يمارسَ الناس النشاط الجنسي منذ سنٍّ مبكرة قدر الإمكان.

شعر العديد من المراجعين المعاصرين لعمل كينزي في ذلك الوقت أنه سيُؤثِّرُ في الأعراف الجنسية في الولايات المتحدة. لم يشكك عالم الاجتماع برنارد باربر، مؤلف كتاب "العلم والنظام الاجتماعي" بتأثير بحث كينزي، حيث كتب: "ليس هناك شكٌّ في أن تقارير كينزي ستغيرُّ نمطَ السلوك الجنسي في المجتمع الأمريكي.[1]"

يوضح كتابنا إلى أي مدى تغيرت الأمور. وفيما يخص الاضطرابات الاجتماعية والأمراض المعدية، يعد تطبيق أخلاقيات كينزي الجديدة أمراً كارثياً. وهذه "الثورة" لم تنته بعد. وإذا سار الأمر وفقاً لرؤية كينزي الأصلية، فلا يزال أمامنا طريق طويل لنقطعه.

غالباً ما تنتج الثورات الفوضى دون تحقيق الحريات المتوقعة. وكانت الثورة الجنسية مثالاً واضحاً على ذلك. أمَّا العواقب الاجتماعية فنعرفها من الأخبار اليومية: حمل المراهقات، والإجهاض في سنِّ المراهقة، والآباء والأمهات بسنِّ الطفولة (غالباً ما يكونون عازبين وفقراء)، والأطفال غير المرغوب فيهم، وإساءة معاملة الأطفال، والقائمة تطول . إنَّ العواقب الطبية مدمرة بالدرجة نفسها: العديد من أوبئة الأمراض التناسلية (بعضها لم يُعرف من قبل أولئك الذين لم يتأثروا بذلك) مع معاناة لا توصف وتكلفة يتحملها الاقتصاد الأمريكي تبلغ عدة مليارات من الدولارات كل عام. وهناك آثار إضافية تتعلق بالطلاق، والأسر المهملة، والأطفال المضطربين، وكل ما يترتب على هذه الأمور المؤذية من عواقب اجتماعية ونفسية.

ما حدث في الاندفاع نحو الحرية الجنسية لم يكن اكتشاف مجتمع جديدٍ وحرٍّ ومبدعٍ، بل كان التخلص من قواعد السلوك الضرورية لمجتمع صحي.

والنتيجة الآن هي خروج سلوك مجتمع في الولايات المتحدة (ومعظم الدول "الغربية") عن المسارات الصحيحة الطبيعية. ومن الناحية البيولوجية، كانت الثورة الجنسية مدمرة. وترتب على ذلك أن التأثير النفسي كان بالقدر ذاته من الخطورة، وإن كانت معرفته أقل سهولة.

---

1 - جاء تصريحه في كتاب غيديس 1954 (Geddes) لتحليل تقارير كينزي، ص 61.

■ الفصل الرابع: رهاب الآخر
أجندة كينزي في التربية الجنسية

تتجه "مؤسسة" التربية الجنسية في الولايات المتحدة بخطى ثابتة نحو إدخال الفلسفة كينزي الكاملة إلى مدارسها، من خلال التحكُّم ببرامج التربية الجنسية. (خلاصة فلسفة كينزي - كما ذكرنا سابقًا - هي أن كل نوع من النشاط الجنسي طبيعي وأمر عادي، ويجب أن يبدأ في وقت مبكر من الحياة قدر الإمكان بممارسته). والجدير بالذكر أنَّ العديدَ، وإن لم يكن معظم معلمي الجنس المحترفين اليوم تعلموا من فلسفة كينزي. وهكذا يتعلم الآن تلاميذ المدارس "مقياس كينزي"، الذي ينصُّ على أن "العلاقة الجنسية بين الجنسين ليست سوى "خيار" واحد"؛ فضلاً عن افتراض أساسي – لدى أهم معلمي الجنس - بأن الأطفال جنسيون ويجب أن يكونوا نشطين جنسياً.

من أخطر نتائج أجندة كينزي هو مراجعة قرار الجمعية الأمريكية للطب النفسي بإزالة المثلية الجنسية من دليل التشخيص الخاص بها.

أجريت أبحاث كينزي على مجموعة غير تمثيلية من الأمريكيين - بما في ذلك أعداد كبيرة على نحوٍ غير متناسب من مرتكبي الجرائم الجنسية، والبغايا، ونزلاء السجون والمعارضين - وتورطوا بإجراء تجارب جنسية غير قانونية على عدة مئات من الأطفال، والذين استمنوا حتى النشوة الجنسية من قبل "اللواطين المدربين".

أصبح هذا هو الأساس "العلمي" لمذهب التربية الجنسية الرسمي في الولايات المتحدة.

أمر مروع، هل هذا حقيقي؟ نعم وبشكل واضح.

ومن المؤكد أن وجهة النظر الأمريكية السائدة بأن وحدة الأسرة التقليدية المستقرة (أي الأم الأنثى - الأب الذكر) والتي تُشكل أفضل بيئة للتربية الصحية للأطفال، تتعرض للهجوم في ما كان يُعرف بالأوساط الأكاديمية التقليدية.

وفقاً لاثنين من المحررين في مجلة "دارتموث ريفيو"، التي لا تحظى باحترام البعض أحياناً، فإن دورة التعلُّم الوحيدة التي تقدمها جامعة آيفي ليغ مكا حول الزواج والأسرة تستخدم نصَّاً أساسياً بعنوان: "الزواج والتجربة العائلية"، والتي تُشوِّه سمعة الأسرة التقليدية في الولايات المتحدة باستمرار باعتبارها مقيدة وقمعية بشكل مفرط". وتقول: إنَّ الأسرَ المثلية (غير الشرعية)

تمُثِّـلُ بدائل مشروعة - وربما أكثر مرغوبة - للهياكل الأسرية التقليدية. ووفقاً لهذا النص، غالباً ما تكون أسر المثليين والمثليات أكثر صحة من الأسر العادية لأنها تقضي على الأدوار الجنسنية المقيدة التي يفرضها المجتمع في كثير من الأحيان على أفراد الأسرة.

■ الفصل الخامس: أجندة كينزي عملياً

لا يدرك العديد من الآباء في جميع أنحاء البلاد مدى كون فلسـفة كينزي للجنس البشري جزء من برامج التربية الجنسية التي يتلقاها أطفالهم، ومن المؤكد أن هناك مجالات لم تحقق فيها هذه البرامـج نجاحاً بعد في النظام التعليمي. حتى عندما لا تظهر أجندة كينزي بطريقة واضحة، من المهم أن ندركَ أنَّ هذه هي الأيديولوجية القياسـية لأولئك الذين يقومون بتعليم معلمي الجنس في الأوساط الأكاديمية. ولا يوجد برنامج تعليم جنس بشري يمنح درجة علمية ويُعلِّم أيَّ شيء آخـر. المعلمون المدربون على إيديولوجية كينزي هم "الخبراء" الذين سـيؤثرون أكثر فأكثر في محتوى - بل وحتى التصميم - المواد التعليمية الخاصة بالجنس المستخدمة في المدارس العامة.

تُنقَـح محتويـات العديد من الكتب المدرسـية للتربية الجنسـية، بما في ذلـك كتابين، الأول لواردل بوميروي، المؤلف المشـارك لكينزي، والذي يدعو إلى الجماع قبل الزواج ويُشجِّع على الاختـلاط بـين المراهقين، والثاني لغاري كيـلي، مؤلف محتوى جنسي، يصف كيفية ممارسـة الجماع الشرجي والجنس "غير الضار" مع الحيوانات. وبحسب ما ورد، تم التصويت على كتاب كيلي في "قائمة أفضل الكتب للشباب" من قبل جمعية المكتبات الأمريكية، وأوصت به د. ماري كالديرون من مجلس المعلومات والتثقيف الجنسي بالولايات المتحدة "SIECUS".

هنـا تُقدِّم الكاتبة نصيحـة للآباء الذين يرغبون بمعرفة ما إذا كان منهج كينزي للتربية الجنسـية مطبق في مدارس أطفالهم، حينها يمكنهم الاتصال بمدير المدرسـة والحصول على إرشـادات المنهج والنصوص المسـتخدمة في دورات مثل "تثقيف الحيـاة الأسرية" و"التثقيف الصحي" ، "دراسـات الذكور والإنـاث" وما إلى ذلك. يحقُّ للآباء أيضاً أن يطلبوا مشـاهدة الأفلام ومقاطع الفيديـو المسـتخدمة في هذه الفصـول. ومن المفيد أن يسـألوا أطفالهم "مـاذا يتعلمون" حول أدوار الجنسـين والحياة الجنسية البشرية، وما إذا كان يُطلب منهم الحفاظ على "سرية" النصائح والمناقشات الجارية في الفصول الدراسية.

■ الفصل السادس: فشل بيانات كينزي

إنَّ اختبـارَ أيَّ نظرية، خاصة إذا كانت تتعلق بالجنس، هو كيفية تطبيقها في العالم الحقيقي. ووفقـاً لهذا المقياس، فإن بيانات كينزي حول انتشـار المثلية الجنسـية في المجتمع - والتي كانت على الشـكل الآتي: 10% من الذكور البيض مثليي الجنس بشـكل أو بآخر لمدة ثلاث سـنوات من عمرهم على الأقل بين سـنِّ 16 و55 عاماً، و4 % مثليي الجنس بشـكل حصري طوال حياتهم بعد بداية المراهقة، غير دقيقة.

كان الاختبـار الأول لبيانات كينزي هو الذي أجراه عالم النفس الشـهير أبراهام ماسـلو. في البدايـة، بالتعـاون مع كينـزي، وبينما كان بحث كينـزي لا يزال قيد التنفيذ، شرع ماسـلو في اكتشـاف ما إذا كان هناك تحيـزٌ في تكوين عينة كينزي من الأشـخاص الذين تمَّت مقابلتهم. عندما كان ماسـلو على وشـك أن يُثبتَ لكينزي أنَّ المتطوعين في دراسـته كانوا غير تقليديين جنسـياً، أدار كينزي ظهـره لهذا الزميل الخبـير، وللنتائج التي توصَّل إليهـا، وابتعد عمداً عن المعلومات التي من شـأنها تقويض مصداقية نتائجه. عمل كينزي المنشـور يُحرف عمداً قصة ماسلو.

وربمـا كان الاختبار الثاني لبيانات كينزي حول المثلية الجنسـية أكـثر إثارة، وأصبح واضحاً الآن أن توقعات حالات الإيدز بناءً على تقديرات كينزي لما قبل الثورة الجنسـية قد تكون أقل بعدة مئات بالمائة، حتى عند تطبيقها على مجتمع أكثر "تحرراً" جنسياً بعد 40 سنة!

يمكن أن يُسـاعدَ فحص أساليب كينزي في تفسـير التناقض بين انتشار الإيدز وبين توقعاته. فمعدلات المثلية الجنسية لديه، والتي طُبِّقت على المجتمع الأمريكي بأكمله، تأتي من التمثيل الزائـد للرجال ذوي الخبرة الجنسـية المثلية في عينة دراسـته ومن تقنيـات التحليل الخاطئة. فضلاً عن ذلك، فإنَّ إحصائيات المثلية الجنسية مستمدة من مجموعة كان 20% إلى 25% منها من السجناء، و5% أو أكثر ربما كانوا ذكوراً منحطين.

مع ذلك، وباسـتخدام البيانـات والتقنيات ذاتها، التي حاول مـن خلالها إظهار أن 13% من السكان الذكور كانوا "مثليين في الغالب"، كان بإمكانه بالسهولة نفسها أن يبين أن 100% كانوا من جنسين مختلفين.

بعد كل ذلك، هناك الحالة الغريبة للمنحة التي قدمتها مؤسسـة راسل سيج "لتنظيف" بيانات

كينزي الأصلية من تحيُّزها. بالطبع، هذا المشروع (المنحة) جاء ليكشـفَ مدى التشـويه الذي طرأ على أرقام كينزي. لكنه كان مشروعاً فاشـلاً، لأنَّ الأفـرادَ الذين تفاوضوا على المنحة هم أشخاص مستقيلون من معهد كينزي.

لعل أحد الأسـباب وراء عدم الرغبة في تنظيف بيانات كينزي الأصلية هو الخوف من إظهار مدى الخطأ الذي بلغته أرقام "مثليته الجنسية". ومن المفارقات أن هناك دراستين حول السلوك الجنـسي، أُجريتا لصالح معهد كينزي في عام 1970، لكن نُشِرت في عام 1989فقط، تحتويان على بيانات تشير إلى أن ممارسة الشذوذ الجنسي (بكل أشكاله) بطريقة حصرية، دون ممارسة الجنس الطبيعي الفطري، أمر غير معتاد في المجتمع.

■ الفصل السابع: مخطط كينزي الكبير

قـام معهد كينزي، بالتعاون مع جمعية الدراسـة العلمية للجنس - عـلى وجه التحديد، فريق العمل المعنـي بالإيدز - والعديد من المجموعات المهنية الأخرى، بالتعبئة للتأثير على اتجاه السياسة الاجتماعية والتثقيف الجنسي فيما يُعرف باسم "عصر الإيدز".

الأساس المنطقي لهذا الإجراء هو أنَّ علماءَ الجنس في مدرسة كينزي كانوا بحاجة إلى وضعٍ يسمح لهم بتثقيف صُنَّاع السياسات الجنسية حول "ما هي الحياة الجنسية البشرية حقاً". حيث اعتقد بروس فولر، منسـق فريق عمل مكافحة الإيدز التابع لجمعية الدراسة العلمية للجنس ، أنهم الآن في وضع ممتاز للحصول على التمويل اللازم "لتثقيف العالم"[1].

وبنهايـة الفصـل، ذكرت المؤلفة: رغم أن ممارسـة الجنس بين البالغـين والأطفال يعدُّ هدفاً رئيسـاً "لمخطط كينزي الكبير"، إلاَّ أنَّ التوصل إلى مثل هذا الهدف لم يكن بالمهمة السـهلة. وبالنسـبة إلى أولئك الذين يشـتركون في أجندات المثليين والمتحرشين بالأطفال (الذين كان لهـم دورٌ بارزٌ بتعليم الجنس)، وكان الطريقُ مليئاً بالتحديـات أمامهم، لكن التحديات تُواجَه بحملة خفية وشـاملة تُؤثِّرُ في المهن والمؤسسـات الدينية الأكثر قيمة في المجتمع. وأضافت أن العناصر المزعومة التالية لهذه الحملة قد تبدو وكأنها خيال علمي، على الرغم من أننا رأينا

1 - "فرقة العمل المعنية بالإيدز في المجتمع." في النشرة الإخبارية للمجتمع، من منشـورات جمعية الدراسـة العلمية للجنس، أيلول 1987.

معظمها بالفعل في أدبيات التربية الجنسية وعلم الجنس:

- تشجيع حركات الناشطين المثليين، وترسيخ المثلية الجنسية كتوجُّه جنسي طبيعي.
- إعـلان الولع الجنسي بالأطفال بمثابة توجُّه جنسي وإضافة ممارسـة الجنس بين البالغين والأطفال إلى جدول الأعمال
- تشجيع الاختلاط بين الجنسين على نطاق واسع لخلق فوضى جنسية.
- تعزيز الحقوق الجنسية للأطفال، لفتح المجال أمام الاستغلال الجنسي للأطفال.
- مهاجمة الدين لتقويض المفهوم اليهودي المسـيحي للخطيئة وإزالة التمييز بين الصواب والخطأ.
- مهاجمة التحليل النفسي، الذي يسـاعد أصحاب الميول الجنسية المثلية على الرجوع إلى الطبيعة الجنسية، للقضاء على مفاهيمه التي تربط السلوكيات الجنسية الشاذة بالمرض العقلي. إبعاد أسباب الأمراض عن الجنس (أي جعل الجنس غير ذي صلة بأي مرض).
- الضغـط عـلى النظام القضـائي لإصلاح قوانـين الجنس حتـى لا يعدّ السـلوك الجنسي المنحـرف عملاً إجرامياً. إضفاء الشرعية على الأفعال الجنسـية الشـاذة لإلغـاء العقوبة على الجرائم الجنسية.
- تعزيز العداء بين الجنسين.
- استغلال تمرُّد الطفولة لتنفير الأبناء من والديهم. فصل الأطفال عن البنية الأسرية التقليدية الحامية.
- إعادة تعريف الأسرة لكسر نموذج الأسرة المُكونة من أم وأب.

■ الفصل الثامن: الاستنتاجات
هندسة الجنس البشري

سـيتّضح لمعظم القُراء أن كينزي توصَّلَ إلى الاسـتنتاجات العامة الثلاثـة الآتية حول الحياة الجنسية البشرية:

1 - التعبـير الطبيعي عن الحياة الجنسـية البشرية هو ازدواجية التوجُّـه الجنسي، وإنَّ عدم تحقيق هذه القدرة لدى كثير من الناس سببه "القيود الثقافية" و"الموانع المجتمعية" التي يفترض أنها تأثيرات سلبية.

2 - سيكون الاتصال الجنسي مع البالغين جزءاً طبيعياً من نمو الأطفال في مجتمع أقل تثبيطاً. تساعد هذه العلاقة الجنسية بين البالغين والأطفال على التنشئة الاجتماعية للأطفال وتساعد على تنمية الإمكانات الجنسية الكاملة في مرحلة البلوغ.

3 - يرتبط الاختلاط بين الجنسين وتنوع التعبير الجنسي بالصحة الجنسية.

كذلك، ضمَّ الكتابُ في نهايته ملحقات عن رسالة مارسلو لكينزي، و رسالة الدكتور بول جيبهارد إلى الدكتورة جوديث ريسمان بخصوص موضوعات وبيانات بحث كينزي، ومهاجمة المُحرمات الأخيرة، والملحق الأخير ما الذي تُعلِّمهُ المدارس للأطفال حول الجنس المثلي.

كان هذا الكتاب عبارة عن تحقيق حول الأبحاث الجنسية البشرية التي قام بها ألفريد سي كينزي. والذي أثبت أنَّ الكثيرَ من أبحاث كينزي غير علمية ومخادعة بشكل متعمد، والعديد من استنتاجاته خاطئة. لكن هذه الاستنتاجات كانت ولا تزال تعدُّ "حقيقة علمية"، وأصبحت أبحاثه الأساس لكثير ممَّا يتم تدريسه في برامج التربية الجنسية في المدارس. جادل فريق عمل الكتاب بأن أبحاث كينزي المتعلقة بالجنس البشري هي المثال الأكثر فظاعة للخداع العلمي في هذا القرن.

إذا استمر تطبيق هذه الفلسفة الشيطانية دون محاسبة أو رقابة، وسيشهد العالم انحطاطاً لا رجعة فيه ولا حلَّ له. لذلك، من الضروري مواجهة هذا التيار الشاذ، سواء في المجتمعات العربية أو الغربية، ومن الضروري متابعة السير في طريق كشف زيف أبحاثه ودحض فلسفته المعتمدة الرغبات الشاذة والأخلاق المنحلة للباحثين المزورين للمعطيات العلمية.

ختاماً نقول: إنَّ هناك المزيدَ ممَّا يمكن قوله حول هذا الموضوع. بمعنى ما، هذا الكتاب هو كتاب تمهيدي، وافتتاحية لسلسلة. حان الوقت للمساءلة، ولأولئك الذين يدافعون عمَّا فعله كينزي وأتباعه أن يتقدموا إلى الأمام وأن يسمعهم جمهور أكثر استنارة.